20030409-0001-L

لورا بونابارت من «أمهات ساحة مايو» لـ«السفير»: «المفقودون ألم لا ينتهي و الصمت أداة تعذيب»

تحبس لورا بونابارت، احدى أشهر الناشطات الارجنتينيات في منظمة «أمهات ساحة مايو»، اللواتي يناضلن لكشف مصير أكثر من ٣٠ ألف مفقود في البلاد، خلال حكم الدكتاتورية العسكرية، الموالية للولايات المتحدة، بين العامين ١٩٧٦ و١٩٨٣، دموعها وهي تروي مأساة اختفاء سبعة أفراد من عائلتها، هم زوجها السابق وابنتياها وزوجاهما وابنها وصديقته.

بونابارت وصلت الى بيروت امس الاول، بدعوة من «لجنة أهالي المخطوفين والمفقودين في لبنان»، للمشاركة في حملة «تذكرت ما تنعاد»، لمناسبة ذكرى ١٣ نيسان، وقد أجرت «السفير» معها حوارا حول نضال «أمهات ساحة مايو»، وحول الحملة في لبنان، والعدوان الاميركي ـ البريطاني على العراق، وهم فلسطين.

١٣ نيسان

أوضحت بونابارت «إنني أريد ان أشارك أهالي المخطوفين والمفقودين اللبنانيين تجربتهم. ان تجربة المفقودين تشكل جرحا مفتوحا بالنسبة الى أهاليهم. من هنا، يجب تبيان الحقيقة، اذ ان عدم حصول ذلك وعدم تحقيق العدالة يستتبعان انحلال المجتمع».

تعتبر بونابارت «أن التجربة مختلفة بين البلدين، لكن التضامن موجود. ان ألم المفقودين يصعب العيش معه، فكل ثقافة لديها مرتكزاتها، وقد يكون الدين أحدها، وهو ليس موجودا في الارجنتين».

وتشير الى انه «في الارجنتين، طالب أهالي المفقودين بمعاقبة المسؤولين، أما العدالة في لبنان فيجب ان تتحقق حسب رغبة الاهالي، وأقلها معرفة الحقيقة حول المفقودين».

وتعتبر بونابارت ان الاقتراحين اللذين تقدمت بهما اللجنة، حول إعلان يوم الثالث عشر من نيسان «يوما وطنيا للذاكرة»، وإقامة نصب تذكاري يرمز الى جميع ضحايا الحرب، ليشكل إدانة ماثلة لجرائم الحرب، «مهمان للغاية»، ذلك ان «الشعوب التي تفتقد الذاكرة لا تعيش، الواضح انه من دون ذاكرة يخسر الشعب تاريخه ويتحول الى مجرد فتات».

الأرجنتين

تروي بونابارت ان قيام «أمهات ساحة مايو» تم مصادفة، في نيسان ١٩٧٧، حين هرع أهالي المفقودين الى المحاكم لمحاولة معرفة مصير أبنائهم وأحبائهم، فتعرفوا الى بعضهم البعض، و«كان اتفاق على تحديد علامة ما لنتعرف بواسطتها الى بعضنا البعض، فكان ارتداء «الحجاب» الابيض، وذلك خشية خداعنا وتسلل عملاء للطغمة العسكرية الحاكمة بين صفوفنا»، أضافت «التقينا اولا في ساحة مايو، حيث لم يسمح لنا العسكريون بالتجمع في المكان من دون حراك، فبدأنا ندور حولها...».

وأوضحت بونابارت ان «النساء انخرطن في هذا التحرك، الى أهميته بالطبع، لأنه لم يكن بمقدور الرجال التخلي عن أعمالهم والتفرغ لقضية المفقودين»، الذين «لا يختفون لأنهم جزء من الحياة الواقعية»، مشيرة الى «خطف امرأتين من المنظمة»، التي بدأت العمل مع المنظمات الدولية، وخصوصا مع منظمة «امنستي انترناشيونال».

تشدد بونابارت على ان «المفقودين يفتحون علامة استفهام لدى أهاليهم، الذين ينهمكون في التفكير في كيفية قضاء أحبائهم أيامهم في الخطف، اين هم وكيف يتم التعامل معهم وماذا يأكلون او يفعلون وهل هم مرضى، إذ يصعب عليهم التفكير او الاقرار بأنهم قد قتلوا».

«المفقودون ألم لا ينتهي والسكوت يتحول أداة تعذيب»، تقول بونابارت، التي تشهد ان «الام هي ام، لأنها أنجبت أطفالا»، وتتساءل بمرارة «لماذا يخفون رفات المفقودين. من المهم جدا بالنسبة لنا معرفة مكان وجود الرفات. انهم يسرقون رفات أحبائنا، لأنهم لا يريدوننا ان نسأل عن اختفائهم».

تروي بونابارت انها استدعيت يوما الى المحكمة حيث أراد القضاة، الذين كانوا بالطبع تحت سيطرة الطغمة العسكرية الحاكمة، ان تتسلم جثة ابنتها عايدة... مقطعة اليدين، لكنها رفضت تسلمها ولم تتسلمها حتى يومنا هذا... والمضحك في الامر انها أبلغت باستحالة إعادة اليدين، بحجة ان ذلك «سر عسكري»!

كذلك تروي كيف ان صهرها «غير وجهته، فيما كان عائدا الى المنزل، كي يجنب طفله، الذي لم يكن يتعدى الاشهر من العمر، إطلاق النار عليه من الخلف في الشارع». ولم يتورع المجرمون حتى «عن التفتيش في حقاض الطفل، بحثا عن معلومات ووثائق وأرقام هواتف»!

ولفتت بونابارت الى «العثور على عدد من المقابر الجماعية، حيث الجثث محللة وبعضها مقطع الاوصال بشكل متعمد...» والى قيام الطغمة العسكرية «بسرقة مجموعة من اللوحات الفنية التي كان يحتفظ بها زوجي».

وتؤكد بونابارت ان المنظمة «نجحت في سوق العسكريين الى المحاكم»، كما انتزعت، بعد نضال طويل، «اعتراف المجتمع الدولي بأن اختفاء الاشخاص يشكل «جريمة ضد الانسانية». وهو أمر مهم للغاية، لأنه لا يمكن استصدار عفو عنه، ويستمر الى الابد ولا يمكن إلغاؤه».

بونابارت تتحدث لـ«السفير» (حسن عبد الله)

أجبرت بونابارت على العيش في المنفى في المكسيك، بين العامين ١٩٧٦ و١٩٨٦، حيث كانت تخشى مهاتفة زميلاتها في الارجنتين خوفا على حياتهم. في المكسيك، احتضنها محبون كثر، وأنقذوا حياة ابنها البكر وزوجته وأحفادها.

العراق

«ما يحصل في العراق جريمة. لا يعقل ان تقوم الولايات المتحدة بما تقوم به في العراق، فقط بحجة «الشبهة» إزاء النظام القائم، ان الرئيس الاميركي جورج بوش مجنون». بهذه الكلمات تعبر بونابارت عن غضب جامح إزاء التدمير الاميركي ـ البريطاني لبلاد الرافدين. و تؤكد انه «على الامم المتحدة ان تستعيد دورها المؤسس في اكتساب ثقة المجتمعات العالمية»، كما أدانت «قتل المدنيين العراقيين بأسلحة «حرب النجوم» الاميركية».

وتشير بونابارت الى ان «التظاهرة الكبرى التي جرت الشهر الماضي في ساحة مايو، احتجاجا على العدوان على العراق، جمعت عشرات الآلاف من الاشخاص، وحتى السياسيين المتخاصمين على الساحة المحلية، لكنهم موحدون في معارضتهم للحرب. ثمة إجماع في الارجنتين حول ذلك».

فلسطين

للناشطة الارجنتينية موقف واضح لا لبس فيه إزاء اسرائيل، التي «تعترف بشرعيتها فقط في الحدود التي أقرتها الامم المتحدة في العام ١٩٤٨، وكأمر واقع. على اسرائيل ان تعود الى حدودها تلك، وان تكف عن استقبال اليهود من كل أنحاء العالم، وعن الاعتداء على الاراضي الفلسطينية، وخصوصا عن إقامة معسكرات الاعتقال حيث تزج بالفلسطينيين. هذا الامر رهيب». لا تتفهم بونابارت «سعي اسرائيل الدائم للتوسع، بشكل دموي، على حساب الاراضي الفلسطينية، هذا اجتياح رهيب»، مشيرة الى «نشاطات كثيرة» تقوم بها «أمهات ساحة مايو» تأييدا للقضية الفلسطينية.

١١ أيلول

تشارك بونابارت العديد من العرب والمسلمين والاجانب، اعتقادهم بفكرة «المؤامرة الاميركية» حول هجمات ١١ ايلول، وتقول «أنا أشك بأن هجمات ١١ ايلول، التي تعزى الى شبكة «القاعدة»، ارتكبها بوش، صاحب التفكير المنحرف»، مشددة على ضرورة «وضعه في إصلاحية. ليس من الممكن ان يكون يحكم بلدا. ليس ثمة حدود لسلوكه».

وتأسف بونابارت لوجود «ثلاث قواعد عسكرية أميركية في الارجنتين، أقيمت خلال حكم الرئيس السابق كارلوس منعم، والتي يستخدم الاميركيون احداها، في جنوبي البلاد، لإجراء تجارب نووية، برغم ان المنطقة التي أقيمت عليها القاعدة هي محمية طبيعية».

وتؤكد بونابارت «اننا لا نملك شيئا»، في اشارة الى وضع الشركات الاميركية يدها على جميع المؤسسات العامة الارجنتينية بعد خصخصتها. وتكشف عن شائعة تم تداولها في الاشهر الثلاثة الاخيرة في البلاد، حول احتمال «بيع» منطقة باتاغونيا، التي تحوي ثروات طبيعية كالنفط ومراع ضخمة، الى الولايات المتحدة، مقابل إلغاء ديون الارجنتين!

حاورها: إيلي هيدموس